القديس أنبا يحنس القصير

يوسف حبيب

مقدمة

هذه سيرة القديس الأنبا يونس القصير فى القرن الرابع ، يذكر اسمه فى بخمع التسبحة وفى القداس وتعيد له الكنيسة القبطية فى اليوم العشرين من شهر بابه .

بترتيب من الرب المتحنن أهتدينا إلى هذه السيرة بمخطوطة قديمة بدير البرموس العامر نسخها المتنيح القمص متياس البرموسى وقد طالعناها باهتمام بالغ وها إنا نقدم السيرة بعد تنقيحها وتبويبها وترتيبها ، وبعد الرجوع إلى مصادر تاريخية أخرى .

ولد القديس حوالى سنة ٣٢٩ م بطيبه بأقصى الصعيد ، ولما بلغ من العمر ١٨ سنة مضى إلى شيوت وتتلمذ للأنبا بموا وخدمه لمدة ١٢ سنة فى مرضه ، وقبل نياحته أوصى القديس يحنس بأن يقيم قريباً من الشجرة التى زرعها - وهى العصا التى كان يسقيها لمدة ثلاث سنوات طاعة لأمر معلمه حتى أورقت وسميت شجرة الطاعة.

وبعد وفاة الأنبا بموا إنتقل القديس أنبا يونس إلى قرب الشجرة المذكورة وعمل لنفسه مغارة وحفر بجوارها بئراً وتتلمذ له كثيرون فى هذا المكان ورسمه البابا توفيلس قساً .

وقد بنى القديس يونس ديراً باسمه وهو يبعد حوالى ١٠ كم

تقريباً عن دير القديس مكاريوس وظل قائماً حتى القرن الرابع عشر ثم خرب .

شاهد هجوم البربر الأول على شيهيت سنة ٤٠٨ م وانطلق إلى صحراء القلزم فى الصحراء الشرقية بين وادى النيل والبحر الأحمر ، وتنيح حوالى سنة ٤٠٩ م ونقل جسده إلى ديره ببرية شيهيت بتاريخ ٢٣ / ٨ / ٨٠٩ م .

لقد كان هذا القديس ممتازاً فى ممارسة الفضيلة وحياة القداسة - ذكر عنه فى سيرة القديس أرسانيوس الكبير معلم أولاد الملوك أنه لما وصل إلى برية القديس مكاريوس وكانت قد تقدمت به السنون ، أشار بأن يتولى إختباره أحد الرهبان القديسين المجربين ، وسلم إلى الآب يوحنا كولوبوس (القصير) ليضعه تحت التجربة والارشاد .

هذا القديس هو غير القمص يؤنس - فى القرن السابع - الذى أخرجنا سيرته إلى النور ، وإننا نقدم سيرة القديس يحنس القصير العطرة فهى مليئة بالاختبارات والدروس والعظات الخالدة المقدسة ، راجين من الرب يسوع أن يعطينا الفهم والحكمة لنعمل برضائه كل حين .

هذا وأن الكنيسة للتمييز بين السيرتين تدعته يؤنس القصير ، والآخر يؤنس القمص فقط . بركة صلاته تكون معنا آمين ؟

يوسف حبيب

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين ؟

سيرة الضياء العظيم المتوهج بكل الفضائل أبينا القديس ايغومانوس دير ميزان القلوب آبا يحنس القصير - أخبر بها محبة فى المنفعة أنبا زخاريا س أسقف مدينة سخا عندما حضر لديه بعض الاخوة الاتقياء يسألونه بالحاح فى هذا الأمر . وكان ذلك يوم تذكاره المقدس المكرم ٢٠ بابه بسلام من الرب آمين :

مقدمة كاتب السيرة

قال : كان طلبكم قصداً عالياً سمائياً يفوق الوصف وينفع نفوسنا وصورة صادقة للفضيلة سألتم عنها ، طلبتم أن أكلمكم بفضائله المقدسة ، انه ذلك الذى استهان بجميع أباطيل هذه الدنيا وعبر الأمواج الكثيرة ، أمواج أفكار الأرواح الشريرة ، وخفف حمولة سفينة عقله ، وفتح قلبه وتشدد ضد هذه الأرواح ، وقاوم أعمال العدو الشرير ورفضها بقوة ... مستعملا نور الطهارة بمعرفة حقيقية ...

وإنى ابتدىء باجتهاد بتهيئة هذا الرحيق المقدس الروحانى الذى جمع من أزهار كثيرة وانحتها زكية ، وصار طيباً واحداً كريماً للغاية ...

ميلاده ونشأته ورهبنته

ولد القديس يحنس القصير حوالى سنة ٣٣٩ م فى بلدة من كرسى مدينة طيبه بالصعيد ، ولو أن والديه كانا فقيرين من غنى هذه الدنيا الا أنهما كانا تقيين جداً يخافان الله. رزقهما الله ولدين الكبير منهما كان راهبا مختاراً ، والصغير وهو أبونا القديس يحنس القصير كان مزداناً بكل فضيلة ومعرفة وكان ينمو كل يوم فى السيرة المقدسة ، ونعمة الرب كانت تعضده مثل تفسير اسمه لأن معنى يحنس النعمة .

ولما بلغ سن الثامنة عشرة اشتاق إلى الرهبنة فى جبل النطرون حيث الملح الروحانى الذى تداوى به النفوس ، هناك الحيـــاة الملائكية ،فى المحبة الكاملة والسلامة التامة ، تزينها الحكمة والمعرفة والأقوال الإلهية وشتى أنواع النقاء الانجيلى ...

إنطلق إلى البرية - ولم يزل حدثاً - إلى القديس العظيم أنبا بموا من نواحى البهنسا ، وكان رجلا كاملا ... سأله القديس بموا قائلا: « يا بنى مالك ولهذه المشقة العظيمة ، حياة الرهبنة الصعبة ... » أجاب القديس أبا يحنس بانصاع عظيم والدموع تنهمر من عينيه: « لى اشتياق أن أصير راهباً وأكون ضمن جماعة الاخوة الرهبان تحت تدبير قداستكم ... » .

قال له القديس بموا :

« ينبغى لمن يسلك هذا السبيل أن تكون له همة مستقيمة بغير ميل البتة إلى أمور العالم الزائلة ، وينسى تماماً جميع أعمال الظلمة الباطلة غير المثمرة ، وتكون جميع أعمـــاله مضيئة كشيئة الله ويرفض التنعم الدنيوى الفانى ولذات العالم الزائلة من أجل الاشتياق للخيرات الباقية فى حياة الدهر الآتى ... » .

ولما إنتهى القديس بموا من الحديث معه تركه وحده فى موضع ومضى هو إلى موضع آخر ورفع قلبه إلى الرب متضرعا طوال الليل بابتهالات كثيرة وطلبات لكى يكشف الله له ما يرضيه من أجل القديس يحنس، وقد كانت هذه عادته الا" يعمل أمراً بعجلة دون الالتجاء إلى الله ... وفى الهزيع الأخير من الليل ظهر له ملاك الرب وقال له « الرب أرسل إليك هذا الأخ فاقبله ، وأن قرنه سيرتفع بمجد وثمرته تكون بخـــوراً مقبولا إلى جميع الأجيال ... » ، ولما قال الملاك هذا انصرف عنه .

ولما لاح النهار ذهب الشيخ أنبا بمويه إلى القديس يحنس ووعظه بكلام الحياة ، وكان يدعوه إلى الجهاد فى مقاتلة الأعداء غير المنظورين ، وأن يكون مستيقظاً ... وأعلمه أن يكون صلباً فى الحرب لكى يغلب جميع حيل الشرير.

بعد هذا حلق رأسه ووضع ثياب الرهبنة على الأرض وأقام ثلاثة أيام وثلاث ليال هو وأنبا يحنس يصليان كلاهما على الثياب ... وبعد هذه المدة ألبسه الثياب وقبله بفرح روحانى وأمره بالسعى وملازمة أعمال الفضيلة .

تلمذته

ابتدأ يخدم بطاعة كاملة مثل تليذ صالح يحيا فى صبر كامل وهو لابس السلاح القوى سلاح الاتضاع الحقيقى الذى يهدم كل أصول الخطية . سار تحت إرشاد القديس أنبا بموا ، لأن كل تعليم بغير تبكيت فهو مرذول ، وكل من ليس له مدبر يقع مثل الورق.

من أجل هذا حسنا ابتدأ أبونا القديس أنبا يحنس بالطاعة والاتضاع ، كقول الكتاب المقدس ، من أراد أن يكون فيكم عظيما ليكن لكم خادماً ، ومن أرتفع إتضع ، ومن إتضع أرتفع ، لأن بمثل هذا أخذ يشوع بن نون خلافة موسى ، وهكذا أليشع بمثل ذلك تضاعف عليه روح ايليا ، وآباؤنا الرسل استحقوا الكرامة التى نالوها بطاعتهم وأتباعهم للإله الكلمة ...

من أجل هذا أهتدى القديس أنبا يحنس إلى الطريق بغير ضلال عندما ألجم شتى ضروب الهوى وتبع سائر أوامر معلمه

مثل تيموثاوس بين يدى بولس . وإذ اؤتمن أنبا بمويه من قبل الله لخدمة هذا الأمر فإنه من اليوم الذى قبل فيه الآب يحنس لم يكن يفتر عن تأديبه بناموس الرب ويجتهد معه لكى يعلمه التقوى والنسك وأنواع الفضيلة بمخافة الله بالمزامير والسهر والعبادة والانفراد والاختلاء والرقاد على الأرض وجحد الشهوات والاتضاع الكامل بأن لايفتر بنفسه فى شىء بالجملة، وعلمه السكون فى حكمة والحياء والبساطة . وكان كل ما يعلمه إياه يكمله ويحفظ المشورة وهو طائع جداً ، ولاسيما حفظ حواسه بسلام وحفظ قلبه من أدناس الأوجاع وحراسة عقله من خيالات الأرواح والمناظر والأحلام .

وكان يعلمه ضرورة الإسراع إلى المضى إلى الكنيسة وكانت بعيدة عنه قليلا . وأن يكون حاضر الذهن لاسيما عند قراءة الكتب المقدسة ، ويواظب على حفظ الكثير منها عن ظهر قلب، ويقبل على الصلاة بغير فتور . وكان يوصيه بحرص عظيم أن يفهم ما يسمعه فى الكنيسة ويحرص ببكاء ودموع أن يطرد عنه كل فكر أرضى، ويوجهه إلى إلتزام الصمت فى حكمة لئلا يأتيه فكر غريب ، ويجب أن يتحفظ تحفظا عظيما حتى صعود الأسرار المقدسة .

وكان القديس يحنس ينتفع من الجهتين من تسليم معلمه ومن معونة نعمة الله التي كانت توازره ، وكان ينمو ويزهر ويضيء بثمار الروح القدس حتى تم بشأنه بالحقيقة قول مخلصنا الصالح ، يكفي التلميذ أن يكون مثل معلمه .

تدريبات للقديس على الطاعة والانضباع والجهاد

وكان بعد هذا أن أبانا القديس أنبا بموا أراد أن يمتحن أنبا يحنس ويجربه ليشرق نوره ولتظهر أمام الجميع فضائله فيتمجد الرب بسببه ...

(١) أخرجه أنبا بمويه من قلايته قائلا له ما أستطيع أن أسكن معك بعد ، إذهب إلى مكان آخر ، فأطاع القديس أنبا يحنس وأقام خارج الباب صابراً ... وأقام هكذا سبعة أيام وكان يحدث ذاته أي ابن لا يؤدبه أبوه ، ويردد أيضاً قول الكتاب « بصبركم تقتنون أنفسكم » وقوله « من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » .

وفي فجر الأحد بينما كان القديس أنبا بمويه منطلقاً إلى الكنيسة - بعد أن خرج إلى خارج حيث كان القديس يحنس القصير - أنه رأى سبعة ملائكة تحمل سبعة أكاليل نورانية وكانوا يضعونها على

رأسه واحداً بعد الآخر . فلما عاين أنبا بموا هذا المنظر تعجب جداً وللحال أسرع إلى القديس يحنس وقبل رأسه بابتهاج عظيم ومحبة ، وأدخله عنده من ذلك اليوم بكرامة جزيلة ولم يعلن له ما رآه .

(٢) وبينما كان أنبا بمويه في قلايته أتى بعض الإخوة يطلبون كلمة منفعة فبعث إلى القديس أنبا يحنس ليحدثهم ، وأن أنبا يحنس بنعمة الروح القدس الساكن فيه كان يجيب على كل واحد ويعظه بكلام الحياة ويطيب قلبه ويعزيه .

(٣) كان يوماً أنبا بموا جالساً مع بعض الإخوة فسألوه كيف تكون الرهبنة ، فنادى أبا يحنس وقال له يا يحنس ابني ، عرف الإخوة كيف يصيرون رهباناً ؟ فأجاب الأنبا يحنس بانضباع عظيم .

ما لم يتعر الإنسان من مجد هذا العالم ويدوس جميع هوى قلبه فلا يستطيع أن يصير راهباً حسب مشيئة الله . فقال الشيخ والإخوة : حقاً هذا هو طريق الخلاص . ذلك أن وصية مخلصنا تقول لا يستطيع أحد أن يعبد ربين ولا يؤمن باثنين ، وأنهم إنتفعوا كثيراً ومضوا .

(٤) وبينما كان أنبا بمويه جالساً ذات يوم فى الكنيسة أتى إليه بعض الاخوة يسألونه من أجل خلاص نفوسهم ، فأرسل إليهم تلميذه أنبا يحنس ليكلمهم ، وكان أنبا يحنس بنعمة الروح الساكن فيه يجيب كل واحد منهم ويعظه بكلام يطيب القلب ، فيه عزاء فى الرب .

فلما أحاط به الاخوة جاء شيخ كبير بينهم وأراد أن يجربه ليعرف ما إذا كان قلبه لايزال يستهويه مديح الناس أولا، فابتدره بقول إستفزازى قائلا إن يحنس رجل شرير. وهو بامرأة شريرة أشبه ، أجابه أنبا يحنس باتضاع: بالصواب نطقت يا أبى القديس. وبعد هذا أتى إليه معلمه أنبا بموا وقال له أترى يا يحنس تألم قلبك من قبل الشيخ ؟ قال له يا أبى كما كان خارجى كذلك داخلى من قبل المسيح الذى يقوينى. فأيقن معلمه أن تلميذه لم يعد يتأثر بكرامات العالم الزائفة .

(٥) وسأله أنبا بموا : كيف تقاتل الأفكار الشريرة .

قال أنبا يحنس: أنا ياأبى أشبه واحداً تحت شجرة عالية جداً فإذا نظر الوحوش والذئاب مقبلة إليه ولايقدر أن يقف أمامها يهرب إلى الشجرة ويخلص ، كذلك أنا أيضاً أكون جالساً فى

قلايتى فإذا رأيت جميع أفكار العدو الشرير مقبلة إلىّ أهرب إلى ظل ورجاء معونة الله بالصلاة فأخلص .

كانت أفكار القديس أنبا يحنس دائماً متجهة نحو الأمور التى لا ترى ، وشاع خبره الصالح عند جميع آبائنا آباء قد تعاظم فى الفضائل أفضل من كثيرين منهم ، وكانوا يريدون أن يصيروا مبشرين بحسن ثمار هذه الدوحة الصالحة ويتحدثون عنها فتشاور جميع الآباء متفقين مع أبينا أنبا بموا أن يجربوه حتى يروا صبره.

(٦) وفيما هو ماض يوماً إلى البيعة استفزه شيخ متعال فى سيرته ولكنه وقال له : أهذا وقت المجىء إلى الكنيسة يا قصير ؟ إذهب من هنا . فلما أخرجوه تبعه أنبا بموا واثنان من كبار الشيوخ وأتوا إلى المسكن لكى يروا ما يعمله وإذا سألوه يعرفون فكره من كلامهم له ، وكان آباؤنا يقولون إن هو ذكر ما جرى أو غضب أو عتب فهو واحـــد مثلنا . وإن هو نسى ذلك ولم يذكره فقد ارتفع أكثر منا وأفضل ، فلما وصل إلى القلاية أتى الشيوخ إلى مسكن آبا يحنس فتنسموا رائحة طيب مختار جداً وسمعوا جماعة ملائكة يسبحون ويرتلون للرب فى سكن القديس ... وكان أنبا يحنس يسبح أيضـــاً فى وسطهم . فبهت الشيوخ

القديسون لهذا المنظر، طرقوا باب القديس فخرج وفتح لهم فنظروا وجهه يضيء مثل ملاك الرب ... وبينما كان الشيوخ يكلمونه وكأنهم يعزونه من أجل الشيخ الذى جربه ويقولون له بالحق لقد أوجعت قلوبنا جميعاً لأجل ما فعله بك ذلك الشيخ ولاسيما أنك عندنا كريم جليل، لكن تعال معنا لنصلح الأمر. وكان آباؤنا يقولون هذا ووجه القديس مطرق إلى الأرض ولم يقل شيئاً، فأجابه أنبا بمو أبوه قائلا لِمَ لا تجيب هؤلاء الذين يكلمونك؟

وان أنبا يحنس بموهبة الروح القدس والنعمة والطهارة الساكنة فيه قال إغفر لى يا أبى القديس، ليس لى علم بشىء مما تقولون، وإن كان قد حدث شىء فهو بتدبير من الله الذى يعمل خلاصاً على أيدى قديسيه. فلما سمع آباؤنا هذا من القديس أنبا يحنس تعجبوا وقالوا بحق إننا كما سمعنا كذلك رأينا. وجاءوا إلى الكنيسة وهم يمجدون الله، وبينما هم مجتمعون سأل بعضهم بعضاً عن عبادة الله قائلين ما هى منزلة أنبا يحنس، فوقف شيخ عظيم قديس وقال لهم: أنبا يحنس أرتفع كثيراً فى الفضيلة أفضل من الكل.

(٧) سأل آباؤنا دفعة أنبا يحنس عن جلوس الراهب فى القلاية.

فقال لهم من يكون خالياً من مقتنيات الدنيا وفيه فضيلة الله فهو بحق جالس فى القلاية بالبرية - لأن الذى ليس له شىء من مقتنيات العالم فهو غنى بالفضيلة، أما صبره أيضاً على الوحدة فهو لأجل رجاء الخيرات الأبدية، فإذا لم تكن فضيلة الله فى نفس الإنسان ولديه مقتنيات العالم، فإن هذا الانسان يقيم فى القلاية بالبرية لأجل الأمور الفانية، وإذا لم يكن للراهب اهتمام لا فى أمور الله ولا فى منافع الدنيا الفانية فإنه فى قلايته فى البرية مثل السفينة بغير حمولة بضاعة فى لجة البحر بعيداً عن الميناء، بلا ملاحين أو مدبرين، وهى بسبب الرياح العاصفة تغرق.

(٨) وسألوا أيضاً أنبا يحنس قائلين: من هو الراهب؟ فقال: الراهب هو الذى يتعب ويكد فى كل شىء، لايستأثر بهواه ولا بكلمة فى أى عمل من الأعمال. وأيضاً ينبغى للراهب ألا يقول شيئاً من الكذب ... ولا يكون نماماً غياباً ولا يذم ولا يدين أحداً.

وكان القديس من قبل الروح القدس الساكن فيه يشير إلى علو فضائل الآباء القدامى ونقص الذين يأتون بعدهم فقال بوحى ونبوة فى حكمة وإتضاع:

قال: نظر شيخ - وهو يعنى نفسه - إلى ثلاثة رهبان عند عبر

البحر قياما فجاء إليهم صوت من البر الآخر قائلا خذوا لكم أجنحة من نار وعودوا إلى البر الآخر. وأن اثنين منهم أخذا لهم أجنحة وعبرا إلى البر الآخر إلى الذى دعاهما ، والآخر ظل قائماً يبكى ويصرخ وأخيراً أعطيت له أجنحة ليست من نار ، بل أجنحة ضعيفة بغير قوة ، فتعب كبير أخذ يغوص ثم يطفو بجهد عظيم وبالكاد طلع هو أيضاً إلى البر الآخر . وهكذا الحال مع هذا الجيل فإنهم لم ينالوا أجنحة من نار مثل آبائنا ، أولئك الذين عبروا أيامهم برصايا الانجيل وطاروا إلى العلا بحرارة النار الالهية عبروا بحر هذا العالم وصاروا مع المسيح . لكنه بعد جهد ينال أهل جيلنا أجنحة ضعيفة بغير قوة من أجل توانيهم .

ارتفاع القديس فى الفضيلة

وتناهى الآب القديس فى الفضيلة من أجل نسكه وكثرة عبادته وسار إلى الحرية وعدم المكر . ولم يكن شيء من الأوجاع يؤلمه البتة ، وصار بغير هم ، كما طلب ذلك من الرب .

وبعد هذا شاور أباه أنبا بموا وسأل الرب أن يعيد إليه الأوجاع حتى يجاهد ويأخذ الاكليل التام ويكثر أجره وقال إنه من أجل الحروب والقتال تنمو النفس وتشب بغنى نعمة الله ..

وكان يحنس يطلب من الرب قائلا: يارب وإلهى يسوع المسيح

فى كل ما تجلبه علىّ آزرنى بقوتك وأمنحنى صبراً حتى الانتهاء.

(١) وأرسل يوماً أنبا بموا أنبا يحنس إلى البئر ليملأ جرة ماء، وكانت البئر بعيدة عن قلايته وكانت عميقة جداً . فلما وصل إلى البئر ولم يكن معه حبل قال بصوت عظيم :

أيتها البئر: إن أبى أرسلنى وقال لى إملأ هذه الجرة ماء، فلوقت صعد الماء إلى حافة البئر . فلما ملأ الجرة عاد الماء أيضاً كما كان .

وكان القديس أنبا يحنس يقول للإخوة أن الطاعة والخضوع من أجل الله للآباء بطاعة كاملة والمشـــورة لهم بأمانة ولاسيما بالانضاع والطهارة وخوف الله ومداومة ذكر الله بغير انشغال، هذه أعلى من الفضائل وتجعل النفس تضيء بالله .

وقد ذكر الآباء عن القديس يحنس :

كما أن الأرض إذ هى إلى أسفل كذلك أنبا يحنس القصير لا يمكن أن يسقط بسبب عظيم انضاعه، فقد أكمل طاعة عظيمة وهو تحت الخضوع لأبيه الروحانى وحمى بنار الروح القدس .

(٢) وفى يوم ما أخذ أنبا بموا خشبة يابسة ومضى إلى موضع بعيد من قلايته فى البرية نحو اثنى عشر ميلا وغرسها هناك ، ودعا تلميذه أنبا يحنس وقال له : « يا يحنس ابنى املأ جرة ماء كل يوم

لهذه الخشبة حتى تثمر، وكان الماء بعيداً عن الموضع الذى غرس فيه الخشبة، وكان أبا يحنس يمضى بجرة الماء عشية كل يوم، وظل هكذا طوال ثلاث سنوات فنمت الشجرة وأثمرت ثمراً طيباً، فأخذ الشيخ أبا بموا من ثمرة الشجرة وأتى به إلى الكنيسة وأعطى لجميع الشيوخ قائلا: «خذوا كلوا من ثمر الطاعة». فلما نظر الشيوخ إلى هذا الأمر العجيب، دهشوا ومجدوا الله قائلين بالحقيقة لولا أن الله معطى الحياة حال فى هذا الأخ لما جرى هذا الأمر على يديه. مبارك الرب يسوع المسيح الإله محب البشر الذى يصنع العجائب فى قديسيه ...

وهذه الشجرة باقية إلى اليوم شهادة صادقة لأبينا القديس أبا يحنس الذى اشتمل بنور الفضائل.

وذات يوم سأل الاخوة أبا يحنس، أجد لنا أن نتمسك بالجهاد الصالح مع الناس، فقال لهم جيد أن نصنع الجهاد للإخوة الذين مات المسيح عنا وعنهم جميعاً لنربح إخوتنا بكل طهارة فى الروح القدس.

وذكر عن القديس أبا يحنس القصير أنه لم يشبع لامن الخبز ولا من الماء ولم تخرج من فمه كلمة مزاح، ومن أجل هذا لم يتملكه فكر الجسد قط، بل كان مثل ملائكة الله فى طهارة القلب.

خدمة القديس لأبيها بموا فى مرضه

وبعد هذا مرض القديس أبا بمـــوا وأقام زماناً طويلا مطروحا لأن الرب أراد أن يزكيه مثل الذهب المصفى بالنار، وظل القديس أبا يحنس يخدم الشيخ أبا بموا اثنتى عشرة سنة بطول أناة، ولثقل المرض كان أحياناً يتضجر، ولم يقل لتلميذه قط فى يوم من الايام كلمة تطيب قلبه عوض خدمته له لأن تأديبه لأبيا يحنس كان شديداً جداً أكثر من كثيرين من آبائنا.

دعاه القديس أبا بموا فى يوم من الايام وقال له: «يا يحنس ابنى إذا أنا انتقلت من هذا العالم فامض وأسكن فى الموضع الذى غرست فيه الشجرة لأن لك فيه ذبيحة دائمة مقدسة مقبولة أمام الله تكون على يديك. لأن هذه الشجرة التى أزهرت تقدمة ودليل على خلاص نفوس كثيرة على يديك، ولك فيه تذكار دائم بين يدى الرب».

ومن بعد هذا لما اقتربت وفاة القديس أبا بموا أحاط به جميع الشيوخ فدعا أبا يحنس، ولما دنا منه أمسك يديه وقبلهما وباركه كما بارك اسحق يعقوب، وقال له ثلاث دفعات طوباك، طوباك، طوباك، ياشجاع للملك المسيح. وبعد هذا أسلمه الشيوخ المحيطين به قائلا لهم: «إقبلوا هذا فإنه ملاك الرب على الأرض وليس

إنسان » . ولما قال أبونا أنبا بنوا هذا فتح فاه وأسلم الروح بسلام الرب .

نياحة انبا بنوا وسكن القديس قرب شجرة الطاعة

ولما أصبح القديس يحنس وحده مضى إلى موضع الشجرة كما أمره أبوه وصنع له مغارة صغيرة هناك وانفرد فيها ، وكان يتنسك كثيراً ويزيد فى عبادته وتعبه ، وقد أعد موضعاً خفياً تحت الأرض فى المغارة ينزل إليه ، مداوماً لله بطلبات كثيرة وصلوات لا تنقطع . وكان قد صنع أيضاً ثوب ليف من النخل يلبسه وينزل إلى هناك .

وفى بعض الأوقات كان يقضى الأسبوع كله هناك بغير أكل ولا شرب بقوة عناية الله . وإذا طلع من ذلك الموضع كان الاخوة ينظرونه كخشبة محروقة فى النار حتى أنه عندما شاع خبره وتحدثوا عن عبادته اجتمع إليه خلق كثير كانوا يتشاقون إلى سيرته الملائكية ، وسكنوا عنده وحوله وصار لهم كلهم سبب خلاص ومثالا للحق ... فصارت الأرض القفرة عامرة مدناً للمسيح ، وهكذا أثمرت الأرض الجدباء ثلاثين وستين ومائة .

ولما كثر الاخوة عند أبينا أنبا يحنس وكانوا يحتاجون إلى عين ماء فكان يراهم متعبين فى مضيهم إلى موضع بعيد حتى يحصلوا

على الماء وتحرك من الله وقام لجمع الإخوة ليحفروا بئراً لهم ، فلما أقاموا خمسة أيام يحفرون نزل أبونا إلى البئر وأقام الليل كله يصلى إلى الرب من المساء إلى الصباح فانبعت عين الماء وإذ بها حلوة طيبة صالحة للشرب .

وهذه النعمة وهبها الله لأبينا ولجميع ديره دون سائر المواضع فى البرارى شهادة صادقة لفضيلة أبينا الصديق .

رهبنة اخى القديس يحنس وتعاليمه له

وبعد هذا ترهب أخوه الكبير ، وكان أبونا أنبا يحنس يحدثه بما فيه منفعة النفس ويجتذبه إلى حب الطاعة والانضاع الحقيق لكى يذكره بضعفه وفقره فى العالم ، وكان يقول لأخيه اعلم يا أخى أننا مساكين ومحتقرون من الناس ، فلنجتهد فى عمل مشيئة الله فى هذا العالم ، لكيما نأخذ منزلة عند الله وقديسيه ، وبهذا وأمثاله صار أخوه راهباً ممتازاً .

وكان القديس أنبا يحنس مزيناً بجميع الفضائل وخاصة فى هذه الثلاث التى أفعم بها قلبه فى كل وقت .

✝ مخافة وقت الخروج من الجسد .

✝ مخافة لقاء الله .

† مخافة يوم الدينونة .

فإذا ما تذكرها كان ينطلق داخل البرية ، وكان أخوه يخرج فى طلبه ، فإذا وجده كان يقول له ، لماذا يا أخى تتعب نفسك . أما تحققت أنك إذا أقمت فى الملاية تجد الله . أجابه ، نعم أنا اؤمن أن الله فى كل موضع ، لكنى أريد أن أتعب كثيراً لكى ينظار الله تعبى ويجعلنى بغير خوف فى يوم الدينونة ، وبغير قلق من جهة الخطية واستحق أيضاً أن أعاين مجد الله وقديسيه . لأن أبانا أنبا يحنس كان قد تطهر بنار الروح القدس ، وكان يجتهد أن يتشبه فى كل حين بالروحانيين .

قال لأخيه الكبير يوماً من الأيام بحرارة محبة الله . أريد أيضاً يا أخى أن أصير بغير هم وأخدم الله بلا فتور . فلما أقام سبعة أيام لا يأكل ولا يشرب رجع إلى أخيه أيضاً . ولما قرع باب أخيه الكبير لم يفتح له بل قال له من أنت ؟ ، قال له أنا يحنس ، قال له أخوه أأنت يحنس ؟ - ان يحنس قد صار ملاكا وليس هو مع الناس بعد ، ولم يفتح له بل تركه على الباب من المساء إلى الصباح ، فلما كان الصباح فتح له وقال له : يا يحنس أعلم انك إنسان وأنت فى الجسد وتحتاج أن تغتسل حتى تقيت الجسد ، وهذا التصرف إنما يكون للذين بغير جسد ، فضرب له القديس أنبا يحنس مطانية قائلا إغفر لى يا أخى .

. . . وفيما هو جالس يوما فى القلاية جاء بعض اللصوص فأخذوا جميع ما بها . أما هو فلم يتكلم قط . ثم قال له أولئك اللصوص ، قم وحملنا ، فقام أنبا يحنس وحملهم ، ولما ودعهم جلس وعند حضور أخيه قال له أين القماش ؟ ، قال ، لست أدرى وضرب له مطانية ثم أضاف : يا أخى أغفر لى وأسألك أن تعى أن لك ثلاث سنوات من وقت أن أتيت إلىّ ولم تحتج إلى شىء .

وكان القديس أنبا يحنس يقول : ثلاث حروب تقاتل الإنسان .

† الزنا .

† دينونة القريب .

† الابتعاد عن الله .

فإذا حفظ الإنسان نفسه من أولاها حُفظ من الاخيرين ، وإذا وَجد الانسان على أخيه أهلكت الأوجاع نفسه .

وقال أيضاً المحبة أساس البنيان ، فإذا حفظنا الأساس نحن نبنى بيتاً حتى تكمل سقفه . من أجل هذا كان القديس يحنس يفرح إذا شتمه واحد وأهانه ، وكان يكثر حبه له زائداً ، ويقول : إحتمال الشتيمة والإهانة بمعرفة هما اللذان يطهران القلب ويأتيان بالاتضاع الحقيق ويثبتان النفس فى الله . أما مديح العالم وكرامته فإنه يهدم الفضيلة .

ومن أجل عظم إتضاعه وحيائه لم يرفع عينيه قط لينظر وجه انسان .

وذكر عنه أنه لم يخطىء فى أمر أو فعل أو قول ثم عاد يسقط فيه دفعة أخرى . وكان إذا علم أن أحداً سقط فى الخطية يبكى ويتنهد بوجع قلب قائلا: هذا سقط اليوم وربما أسقط غداً، وكان يسأل الرب من أجله وكان يفعل هذا كل حين .

ومرة سأله الإخوة قائلين: يا أبانا أجيد أن تتلو مزامير كثيرة ؟ قال لهم غنى الروح القدس يكون فى النفس من قبل حفظ العقل ، قرأ الانسان كثيراً أو قليلا ، ولا سيما أن جميع ما يصنعه الراهب إذا لم يكن بالانضاع والتحفظ فلا يقبل قدام الله .

وذات يوم أيضاً أراد أبونا القديس أنبا يحنس أن يبيع قفةً فى الريف لأنه كان يضفر الخوص فسار فى البرية حاملا إياها ولم يمض فى طريق الريف . فوجد جملا مع جماله . قال الجمال يا أبانا أعطنى هذه القفف لانى أراك متعباً فأعطاه إياها وسارا . فبدأ الجمال يتفوه بكلام الهزل كأهل العالم ، ونظر أبو يحنس جمعاً من الشياطين حول الرجل، والوقت ترك القفف وعاد إلى قلايته وهو يردد قول ربنا « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفســـه » .

ومرة أخرى كان قد مضى إلى الريف ليبيع قفةً ، فلما دخل إلى السوق وهو حامل القفف على عنقه ، وكان هناك بعض الاخوة الآخرين من الرهبان ، مع كل منهم صناعته وشغله ، فأتى قوم ليشتروا القفف ، فقالوا لأبينا يحنس : بكم هذه القفف ؟ . وكان القديس ينظر إلى السماء متأملا فى أحكام الله ، فخاطبه الاخوة قائلين ، يا أبانا عرفنا الثمن ، قال لهم عرفونى أيها الاخوة أيهما أكبر فى السماء وأكثر دالة عند الله ـ الكاروبيم أم السيرافيم ـ فتعجبوا كلهم وقالوا ، فيم كان يجول فكرك يا أبانا ؟ . قال لهم تأمرنا الكتب كل حين بأن نطلب ما فوق ونفكر فيما للعلا حيث المسيح جالس عن يمين الله ، ولا نفكر فيما على الأرض . فمجد الاخوة الله من أجله .

وجاء أخ إلى أبينا القديس يحنس لشراء بعض القفف وقرع الباب وأطال القرع ، وبعد وقت طويل خرج إليه القديس وقال ماذا تريد يا أخى ؟ . قال الاخ ، لقد تعبت من كثرة القرع، فرد عليه أنه لم يعلم،ولما دخل قال لأبينا أنى فى حاجة لبعض القفف . وكان أبونا صامتاً وأقام وقتاً طويلا ساكتا ، فعاود الاخ الطلب وفى ذلك أيضاً كان أبانا يحنس منشغلا وهكذا ثلاث مرات وكان الاخ يسأل القديس .

وبعد فترة تقدم القديس أنبا يحنس وأمسك بيد الأخ وأدخله وأراه السقف وقال له : خذ ما أنت فى حاجة إليه ... وهكذا كان اشتياقه إلى ما لا يرى ، وكان يرتل مع المرنم داود النبى واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب جميع أيام حياتى . . .

كان القديس أنبا يحنس يمضى إلى الحصاد وكان يتصرف مع الاخوة كرئيس يعطف عليهم وكان يريحهم جميعهم فى كل شىء . وكان إذا تعب لا يستريح حتى يشير إلى الاخوة أن يستريحوا أولا ثم يرح نفسه بعدهم، وكان يقول ، مكتوب تحب قريبك كنفسك، فإذا أنا أرحت أخى أراحنى الله أيضاً.

وفيما هو فى الحصاد دعا واحداً من الاخوة ليصنع خدمة للإخوة ، لكنه أجاب أبانا بغضب قائلا : « ما لك أنت أيضاً؟ » أجاب القديس وقال له أغفر لى ، وحالا طرح المنجل وصنع مطانية للأخ وعاد إلى البرية إلى قلايته ...

شفاؤه الأبرص

قدموا إليه مرة رجلا أبرص ولما صلى عليه باسم ربنا يسوع المسيح زال عنه البرص .

اخراجه الأرواح النجسة

بينما كان القديس جالساً فى الحقل وقت الحر مع الإخوة ورأى إمرأة مسنة ملقاة على الأرض يعذبها شيطان مارد بغير رحمة، فتحنن عليها ووقف فى الغيظ يصلى، فصرخ الشيطان بصوت مرتفع قائلا : « ما لى ولك يا قصير ، تركت لك البرية فأتيتنى إلى هنا أيضاً ، أترك لى هذا الموضع لكى أستريح فيه » . وفى تلك الساعة خرج الشيطان وعوفيت المرأة . فلما نظر الإخوة ما جرى على يد أبينا القديس يحنس مجدوا الله كثيراً .

ولما جاء من الحقل الذى كان يحصد فيه مع الإخوة ووقف يغتسل بقليل ماء فيستريح من التعب قليلا ، أتوا إليه بحدث به شيطان . فلما نظر القديس ضراوة فعل الشيطان وشدة تعذيبه للحدث نظر إلى السماء وتنهد وأخذ الماء الذى اغتسل به وصلب عليه باسم المسيح وسكبه على ذلك الحدث فخرج منه الروح النجس وعوفى ومجد الله .

وكان آباؤنا إذا مضوا إلى الحصاد وأخذوا أجرة حصادهم يقسمونها قسمين الواحد للصدقة والآخر لسد إعوازهم ، وهكذا كانوا يفعلون فى ثمن شغل أيديهم .

أما أبونا القديس يحنس فكان يأتى بالجزئين إلى البرية قائلا:

« مساكين وضعفائى وأراملى هم فى الدير » . وإذا خرج من الحصاد لايعمل شيئا غير الصلوات الكثيرة الدائمة وإلقاء العظات للإخوة ، وكان يرشدهم بكلامه قائلا ، أكرموا الله الواحد وحده بكل رعدة ومخافة فإننا إذا توانينا عن محبته فهو يرفضنا وأيضاً جميع الخليقة ترفضنا، فإنه لنا عون وقوة لا تغلب ، فلنتبعه بكل قلوبنا وهو يخلصنا لأنه صالح ومتحنن على كل الخليقة. فلنهرب يا إخوتى من الأباطيل ولننظر إلى مجد الذين أرضـــوه وهم فى ملكوته مثل الأشجار المثمرة المحملة أثماراً صالحة ، ويقينوعهم هو يسوع المسيح وهم متنعمون فى الفردوس .

وبالجملة كثيرة هى فضائل القديس ، ومن كثرة فضائله وسعيه المستقيم أرسل الرب له ملاكاً ليعزيه ويقويه ويكشف له طرق الخير التى ترضى الله ، ويدبئه بأسرار عظيمة كقول الكتاب: ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم .

وبعد هذا إنتقل أخوه إلى الرب الذى أحبه :

لقاء مع أنبا بيشوى

وبينما كان القديس يحنس ذات يوم راقداً إذا بالقديس أنبا بيشوى الرجل الكامل أتى إلى قلايته فرأى ملاك الرب قائماً بجانب القديس يحرسه ، فلما نهض القديس من نومه سأل الاخوة قائلا :

« إن أحداً أتى إلى هنا وأنا راقد » ، قالوا له نعم قد أتى الشيخ العظيم أنبا بيشوى، فقد علم أنبا يحنس بالروح أنه قد رأى الملاك .

جاء إليه إخوة وقت المساء يسألونه من أجل خلاص النفس فكلمهم عن الفضيلة وكان ذلك من المساء إلى الشروق ولم يعلموا، فلما كان الصباح خرج أبونا ليكيما يودع الإخوة ، وكان فى توديعه أيضاً يحدثهم بالكلام الروحانى .

وساعته كاهنا

فى هذا السعى الصالح كان جماعة من الإخوة قد أعلموا الآب البطريرك فى ذلك العصر بفضائله فأختير كاهناً وبمسرة الروح القدس قدموه وجعلوه قسيساً ، وأثنـــاء تقدمته ووضع الآب البطريرك يده عليه إذا صوت من السما قائلا: « مستحق مستحق مستحق » .

ولما اؤتمن على الأسرار المقدسة تجددت فيه الفضائل بزيادة عظيمة. وكان يقول أن الكاهن مثال الكاروبيم والسيرافيم القريبين من الله أكثر من جميع الرتب وهم الذين يتنعمون أولا بحياة معرفته وبضياء مجده المبارك الطوباوى الدائم إلى الأبد ، ومن أجل هذا تأمرنا الكتب قائلة كل من يترجى المسيح فليطهر نفسه

كما هو ظاهر . « كونوا قديسين كما أني قدوس . . . فكان يوفي دين هذه الرتبة مضاعفاً كخادم صالح ووكيل أمين » .

كان كاهناً كاملا في كل بر كقول الكتاب ، كهنتك يلبسون العدل وأبرارك يبتهجون . كذلك امتلأ من موهبة الروح القدس واجتذب لنفسه ضياء ومجداً أسنى ، وقد أرضى الله في كل طرقه ، وكان الله يكشف من بصيرته فيرى كل ما في الانسان كشيء في إناء من زجاج .

كان إذا علم أن إنساناً سقط في الخطيـــة أو أنه محارب بأوجاعها يعلمه ويهديه كأب حقيق متحنن بكل كلام صالح ووجه باش ، وكان يبذل المشورة الرشيدة للناس لكيما يخلصـــوا ، ويوصيهم باحتمال نير التوبة الحقيقي باجتهاد شفاء لجراحاتهم لكي يتصالحوا مع الله بالطهارة وحفظ النفس ، وبعد ذلك يدربهم على الجهاد الواجب في محاربة الأفكار الرديئة ليزيلوها من قلوبهم بالنسك ومرضاة الله . وكان القديس يفعل هذا كطبيب ماهر يداوي النفوس .

صرامة تقشفه

كان صارماً جداً في تقشفه ، صنع له موضعاً فيه حجارة

كثيرة وكان إذا قهـــره ناموس الطبيعة ينام قليلا . . .

وكان يضرب مثلا في النسك قائلا ، مثل ملك أراد أن يأخذ مدينة فهو يحاصر المواضع التي يجلب العدو منها الماء أولا ثم ينهب طعامها ويعيقهم عنه ، فإذا ضاق سكانها بالجوع والعطش خضعوا له وصار مالكا عليهم . كذلك الراهب إذا ألجم جميع أسباب الشره بالنسك والامساك عن الأطعمة ، وأحب التقشف وجاهد الأعداء غير المنظورين ، وبعد عن التعلق بالشهوات واللذة المهلكة وحفظ نفسه من الخطية فإنه يملك ويغلب الشـــرير ويفسد كل حسد التنين .

وكان إذا نال أحد الإخوة ضيقة من العدو يصلي عنه فتزول عنه الشدة للوقت .

ومرة أخذ بعض القفف ومضى بها إلى مصر ليبيعها ويشتري قليلا من الخبز من أجل حاجة الجسد ، فلما باعها ملأ فمه خبزاً من ثمن القفف ، وفيما كان القديس مستعداً ليسير إلى البرية ، صادف عجوزاً أرملة مسكينة تمشي في الزقاق ، وكان معها صبي أعمى تمسك يده وتقوده ، فلما رآها القديس سمع الصبي الأعمى يقول لأمه : « الرب يرزقنا اليوم خبزاً لنأكله يا أمي » فتنهدت أمه وبكت قائلة

الرب ينظر ويتحنن علينا برحمته يا ابنى ، فلما سمع القديس يحنس هذا من الاعمى وأمه ، تحركت أحشاؤه وتحنن عليهما ودعا المرأة قائلا لها لعلك فى حاجة إلى هذا الخبز القليل يا أمى . قالت له نعم وهذا كثير يا أبى ، وهكذا أعطى المرأة قفة الخبز ، فلما أخذت المرأة الخبز بفرح وشكر حركها الله بتدبيره وصرخت بإيمان عظيم وقالت لأبينا القديس: « يا أبى القديس أنا أرى أنك قديس الله ، وإنى أسأل قداستك أن تضع يدك على ابنى الاعمى لكى يشفيه الرب بصلاتك . فرفع القديس عينيه إلى السماء وتنهد ببكاء وصلى إلى الرب هكذا قائلا :

« أيها الرب الإله معدن الخيرات يسوع المسيح مالك كل شىء ، أنت هو أمس واليوم وإلى الأبد ، كما رهبت البصر للمولود أعمى بقوتك المقدسة، هكذا أيضاً أيها المسيح إلهنا لتكن مسرة إرادتك تامة علينا كل حين خلاصاً لخليقتك لأن لك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس إلى الأبد آمين » .

ولما نال القديس آمين وضع يده على عينى الاعمى ورشم باسم المسيح ، وفى تلك الساعة أبصر الأعمى النور ، ولشدة الفرح والدهشة التى استولت على أم الصبى صرخت بصوت عظيم قائلة :

« مبارك هو الرب إله هذا الراهب القديس » ومن عظيم صراخها اجتمع كثيرون لينظروا ، وعند هذا انفرد إلى جانب آخر ، هارباً من مجد الناس .

كان مداوماً على الوعظ لكيما يحفظوا نفوسهم من كل خطية ، وخاصة النميمة والدينونة قائلا : أنهما يجعلان الانسان غريباً عن الله مثل الزناة وعبدة الأوثان ، كما يحذر الرسول بولس قائلا أن فاعلى هذه لا يرثون ملكوت الله .

قالا نا إذا نسينا خطايانا وحدنا ونعيب إخوتنا وننصحهم فالله هكذا يفضحنا . . .

ومرة كان الإخوة يأكلون من صدقة جاءت إليهم وكان القديس أبو يحنس جالساً معهم فنظر أخاً يضحك فبكى القديس يحنس قائلا أين ترى فكر هذا الأخ ، قد كان حرياً به أن يبكى لأنه يأكل من الصدقة .

وبينما كان جالساً إلى المائدة مع رهبان كثيرين كشف له الروح فنظر اختلافا فى الإخوة الذين يأكلون ، ورأى بعضهم يأكل عسلا ، وبعضهم يأكل خبزاً وبعضهم يأكل ترابا - فدهش الآب

من هذا لأن الطعام الموضوع أمامهم كان شيئاً واحداً فجاءه صوت من السماء قائلا:

إن الذين يأكلون بخوف الله وفرح روحانى هم المتضعون الذين يصلون بغير فتور وهم مقبولون مثل البخور المختار، وعقولهم فى السموات وصلواتهم تصعد إلى العلا، من أجل هذا يأكلون شهداً.

والذين يأكلون خبزاً هم الذين يأكلون بشكر ويمجدون الله على عظيم صنيعه وعظمته.

أما الذين يأكلون تراباً فهم الذين يأكلون بتذمر، يدينون ويعيرون ويقولون هذا جيد وهذا ردىء.

من أجل هذا ينبغى أن نمجد الله ونباركه ونشكره كثيراً ليتم قول الرسول إن كنتم تأكلون أو تشربون أو تعملون عملا آخر فاعملوه لتمجيد الله.

وكتب الأنبا بيمين الحكيم[1] الذى صار شبيهاً لبولس، عن فضائل كثيرة أكثر من السابقين من آبائنا. وكان يخدم أعمال الروح القدس الممتلئة مجداً. وكتب عن فضائل القديس يحنس

(١) أنظر كتابنا « الأنبا بيمين ».

القصير كثيراً ... قال إنه من أجل طهارة قلبه ورفعة إتضاعه كان حصن نار الروح القدس محيطا به، يحل الأفكار الرديئة الشيطانية فلا يحملها تدنو منه بالكلية.

لقد أكمل القديس وصية الرسول، فكما يقول: بالمحبة تكون طول الروح، المحبة لا تحسد ولا تستكبر ولا تطلب ما لنفسها، لا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق، تصدق كل شىء، تتوكل على الله فى سائر الأمور، تصبر على كل شىء، تحتمل كل شىء ... لا تسقط أبداً.

ومن أجل هذه الفضيلة وسم الرب له ملاكين يظللانه كل وقت ويحفظانه فيستضىء بالأسرار المقدسة.

رؤى القديس

وفى كل مرة كان القديس أنبا يحنس يحضر القداس استحق أن يعاين الروح القدس على المذبح، فيكشف له أيضاً عمن يستحق التناول ومن لا يستحق، وكشف الله له ذلك وجميع الشعب مجتمع عندما بدأ يعطى الأسرار الرهيبة لهم.

أيضاً كان يرى ملاك الرب قائماً وبيده سيف مسلول، وكان إذا تكلم واحد كلمة بطالة أو فكر فى قلبه فى الأعمال غير المرضية يومىء الملاك بيده ليضربه بالسيف، لولا صلاة القديس يحنس ورحمة الله التى تنتظر توبة الخطاة ورجوعهم.

وذكر فى السيرة أيضاً أنه فى زمان أبينا أنبا ثاوفيلس بطريرك المدينة العظمى الاسكندرية بنيت كنائس كثيرة من ضمنها كنيسة على اسم الثلاثة فتية القديسين الذين طرحوا فى أتون النار ببابل فى عهد الملك بختنصر ، وهم حنانيا وعزاريا وميصائيل، واشتاق أن يحضر أجسادهم المقدسة ليضعها فى بيعتهم المقدسة تسبيحاً وتمجيداً لله ولقديسيه ، فكشف له ملاك الرب قائلا ليس أحد يقدر أن يفعل هذا الأمر إلا القديس أنبا يحنس قص شيبيت .

فأرسل البطريرك لوقته وأحضره وعرفه بما فى قلبه . وكان القديس يحنس قوى القلب كالأسد فى أمانة المسيح ، فقال للأب البطريرك : « صل على يا أبى أن يهدينى المسيح إلى طلبتك » فصلى على القديس يحنس واطلقه بسلام قائلا له : إله آبائى يسهل طريقك بالخلاص. فلما بعد عن المدينة قليلا وقف وصلى صلاته ، والوقت حمله سحابة وأتت به إلى الموضع الذى فيه أجساد قديسى المسيح . فلما نظر العطية الكاملة التى لهذه الأجساد بنور الروح القدس سجد ثلاث دفعات قبل أن يصل إليهم ، ولما اقترب منهم وقف وعانق أجسادهم المقدسة بدموع غزيرة .

حينئذ سمع فى تلك الساعة صوت من الأجساد قائلا : الرب الإله الحقيقى الأبدى الذى هو بغير ابتداء ولا انتهاء خالق كل شىء يبارك عليك ويخلصك أيها الشريك الصالح الأمين الإيغومانوس .

ولما قالوا هذا سكت الصوت ، وامتلأ أبونا فرحا من البركة الروحانية ، ثم قال لهم : قد بنى البطريرك كنيسة لتذكار اسمكم المقدس وأرسلنى لكى تحل فيها أجسادكم المقدسة شفاء وخلاصاً لكل من يؤمن بالمسيح الإله فى مدينة الاسكندرية وجميع كورة مصر، فأجابوا إن الله يعطيه أجرة تعبه فى الحياة الأبدية الدائمة. لكن أخبر الأب البطريرك أن أجسادنا لا تقدر أن تبتعد عن الموضع التى هى فيه كأمر الرب ...

ولما اجتمع أبنا يحنس بالبطريرك عرفه بجميع ما كان والوقت جمع البطريرك جميع الكهنة وأساقفة وقديسين وجميع شعب المدينة إلى كنيسة القديسين الأطهار لأجل تكريسها . وفى نصف الليل إذا بنور عظيم أنار المدينة ، وأنار كذلك جميع القناديل التى فى البيعة وأضاءت ضياء عظيما ، وهذا كله كان إشارة إلى حضور القديسين إلى المدينة .

ن البطريرك يرى الثلاثة فتية القديسين وهم يشتركون معه

واستحق كثير من الشعب أن يرى هذه الأعجوبة. ولما كان الصباح أقام القداس وكان هذا اليوم فرحا وعيداً روحانيا ، وكثيرون من المرضى نالوا الشفاء ... وبعد هذا تبارك القديس يحنس من البطريرك وعاد إلى البرية بسلام.

بعد هذا قال للإخوة إغفروا لى يا إخوة ، قد كنت أسمع أن جمعاً كثيراً فى مدينة الاسكندرية ولكنى لم أقابل إلا الآب البطريرك فقط ... وقال: « تقووا يا إخوة كل حين لكيما تكونوا هياكل مقدسة للروح القدس... » . ولما سمع الإخوة هذا انتفعوا جداً ، وكان القديس يحنس يسير من قوة إلى قوة بعلو فضائله .

هجوم البربر على البرية وانطلاقه الى القلزم

وبعد أيام كثيرة من وقت خروجه من الاسكندرية تغلب البربر على الوادى بأعمال وحشية، وامتنع اجتماع آبائنا وطردوهم من البرية وخربوا البيع . وكان القديس يحنس يتلو فى الكتاب المقدس ، إذا طردوكم من هذه المدينة اهربوا إلى أخرى، ولأجل هذا ترك القديس ديره وانطلق إلى القلزم ، وكان ذلك بتدبير من الرب لكى يخلص نفوساً كثيرة أخرى على يديه فى ذلك الموضع، فإن عبدة الأوثان كانوا لايزالون فى عاداتهم فى ذلك الموضع .

وقبل سفره إلى القلزم أحاط به الإخوة قائلين يا أبانا أتمضى وتتركنا ، وهل تخاف البربر ؟ أجابهم القديس لست أخاف لكن الخير الكامل قدام الله هو هذا الأمر أن لايطاب الانسان خلاص نفسه وحده بل والآخرين أيضاً .

إن هذا البربرى وإن كان مفترقا من بالأمانة فإنه صورة الله وخليقته مثل ، فإذا انتظرت هنا حتى يقتلنى فهو يمضى إلى العقوبة بسببى ...

انطلق القديس يحنس حتى وصل إلى جبل القديس انطونيوس داخل القلزم مسيرة يوم منه وسكن فى صخرة فوق موضع كالذى كان فيه فى الوادى وأقام فيه مداوما الصلاة باجتهاد . وقيض الرب المهتم بكل الخليقة وخاصة قديسيه له رجلا علمانياً مؤمناً متديناً يخدمه ، وكان من تلك الكورة ، وله أمانة فى جميع القديسين سكان ذلك الجبل ولا سيما القديس يحنس ، وكان يخدمه مرة فى الأسبوع ويفتقده لحاجة الجسد ، وكان أبو يحنس أيضاً يأتى إلى القرية دفعات كثيرة ساعياً فى خلاص الكثيرين ، وما أكثر الأنفس التى أنقذها من يد العدو والتى جاهد من أجلها بشتى الطرق .

وكان فى ذلك الموضع بين عبدة الأوثان رجل غنى جداً قاسى القلب وكان جباراً وقحاً بسبب كثرة ماله وله أصنام كثيرة ، ذهب وفضة فى بيته ، وكان يعذب المؤمنين الأرثوذكسيين عذاباً كثيراً لا سيما الذين يرجعون عن العبادة النجسة إلى نور عبادة المسيح فكان يذيقهم ألواناً من العذاب كثيرة .

وشرع مراراً بمكر لينتزع حياة القديس من الأرض لكن الله المتحنن لم يرد أن يلحق به أمر ردىء بل بحكمة صنع الخلاص له ، وأصيب الوثنى بالجدرى ولشدة المرض كف بصره ، فتاح عليه جميع عبيده وكل أهل بيته ، واستغاثوا بآلهتهم لشفائه ، ولم يقدر أحد منها أن يشفيه وكان الموت يتهدده . وفيما هو فى هذا العذاب الأليم تكلم بمشقة وجهد كبير بصوت خافت جداً لايكاد يسمع وقال :

« اسرعوا بإحضار أبا يحنس الذى يعبد إله المسيحيين » .

والوقت أسرع أهل بيته وعبيده وجاءوا إلى القديس فى الجبل ولما قرعوا باب مغارته خرج إليهم فسألوه أن يمضى معهم إلى الرجل الوثنى ، فقال لهم القديس إن لم يتعهد أن ينكر هذا الكفر ويستضىء بنور الأمانة فلن يعافى . ولما سمع الرجال المرسلون

هذا مضوا وقالوا له ، ولكونه فى تلك الشدة العظيمة قال لهم أدعوه يعافينى من هذه الضربات وأنا أفعل كل ما يريد . فعادوا وأخبروا القديس يحنس بذلك فمضى معهم وهو فرح ، وما أن وصل إلى حيث يقيم ذلك الرجل حتى سقطت الأوثان التى فى مسكنه... وتقدس المسكن بصلواته وطلباته ، وكان ذلك الرجل الغنى يتضرع ويقول يا سيدى أعنى فإنى فى شدة ، فوعظه القديس وكل أهل بيته بكلام الحياة الأبدية إلى أن اعترف بالإله الواحد الثالوث غير المخلوق وغير المدرك الذى لا ابتداء ولا إنتهاء له ، كما اعترف بالتدبير الذى فعله لأجل خلاصنا ... وبهذا جحد الرجل الشيطان وكل جنوده ، وبعدئذ عمده القديس هو وكل أهل بيته ... وفى ذلك الوقت حدثت المعجزة إذ بعد صعوده من الماء المقدس أبصر وعوفى باقى جسده ، فاجتمع إليه أهل القرية وكانوا يمجدون الله .

وكان ذلك لهم جميعاً فرحاً وروحانياً واحتفلوا به بفرح وسرور .

ولما نال هذه المواهب العظيمة واستحق الأسرار المقدسة فرق أموالا كثيرة على المساكين والفقراء والكنائس ... وكان

عدد الذين اعتمدوا فى ذلك اليوم على يد القديس أنبا يحنس - مع الرجل وأهل بيته وعبيده - سبعون شخصاً .

ومضى القديس أنبا يحنس من ذلك الموضع إلى موضع خلوته وهو فرح يحمل ثمر الخلاص لدعوته كفاعل أمين فى كرم رب القـــوات .

مرض القديس ونياحته

ولما إخضر حقله جيداً وظهرت ثمرته وأزهرت سنابله فى مرضاة الله لتخزن فى خزائن السماء حيث كان قلبـــه كل حين - كوصية مخلصنا - كان القديس يشتاق كل حين أن ينحل من هذه الحياة ليكون مع المسيح ، وظهر على القديس المرض ، ودب الضعف فى جسده ، كان ذلك الخادم مواظباً على خدمته .

وبينما هو راقد ليلا ساهراً من أجل شدة مرضه كما قيل ، دخل إليه القديسون أنبا انطونيوس وأنبا مقار الكبير وأنبا بموا أبوه الروحى وكانوا يعزونه كثيراً برجاء الدهر الآتى المعد له ، وقالوا له : « تقو بالرب وتعز واستعد فنحن نجىء خلفك باكر

يوم الاحد ونأخذك إلى عندنا إلى الحياة الأبدية كأمر الرب » . قال القديسون هذا وباركوه ثم انصرفوا .

وفى يوم الجمعة أرسل الخادم المحب لله إلى المدينة من أجل قضاء مصلحة هامة ، وربما أراد بهذا الأمر ألا يحضر وقت مفارقته الجسد . وعند صياح الديك يوم الأحـــد المقدس إذا بأجناد الملائكة وصفوف القديسين قد جاءوا ليأخذوا رفيقهم ، فلما نظر أبونا القديس ضياء مجدهم ودعتهم وكانوا ممتلئين من الفرح الروحانى باشين فى وجهه تنتشر منهم الروائح الزكية التى فى السماء باشتياق الخيرات الأبدية بمجد وضياء ظهر رب الكل وسقط القديس على وجهه باشتياق وتهليل كثير ، واسلم الروح فى تلك الساعة فى العشرين من بابه بســـلام الرب ، وكان عمره سبعين سنة .

وحين افتقاده وجد مضيئاً وقد أرضت نفسه الرب كقول الحكيم ، وفى إنتقـــاله ظهر بين يديه كاملا بغير دنس فى شيخوخة صالحة بغير عيب ، وكانت نفسه مستبشرة مزينة بطهارة الفضيـــلة .

وبينما كان الخادم المحب لله خارجا من القرية عائداً إلى أبينا المغارة سمع تسبيح القديسين يسبحون قدامه وتطلع إلى العلو ، فرأى نفس أبينا فى وسط جموع القديسين بإشراق كثير عجيب ، ورأى بينهم واحداً عظيما فى قامته يضيء جـــداً مثل الشمس وكثيرون يتبعونه ، واشتاق أن يعلم من هو ذلك العظيم السائر قدام هذا الجمع فجاء إليه فى تلك الساعة ملاك بأمر الرب وقال له ، هؤلاء الذين تراهم هم الملائكة والقديسون أرسلهم الرب خلف عبده يحنس ليخرجوه من حبس هذه الدنيا المملوءة تعباً إلى النياح فى فردوس النعيم ، وهذا الرجل الكبير السائر قدامهم كلهم يضيء بالمجد هو القديس العظيم انطونيوس ، والذى من بعده هو العظيم أبو مقار الكبير ، والآخرون هم بقية المتشبهين بهما ... وأنت أيضا أيها الخادم الأمين طوباك لأنك ربحت البركة والكرامة من الرب ومن قديسيه . ولما قال الملاك هذا انصرف عنه .

ولما دخل الخادم المحب لله إلى المغارة وجد القديس الطوباوى مطروحاً على الأرض على ركبتيه وهو على وجهه كأنه ساجد للرب ، وكانت رائحته نفاذة كالطيب العظيم تفوح من جسده

المقدس ، فسجد هو أيضـــاً على جسده المقدس وتنهد وبكى ، وبسط جسده وكفنه بالثياب وهو يرتل بمخافة ووجع قلب . ولما أتم ذلك تركه فى موضع فى المغارة وعاد إلى القرية وحدث بما كان .

فلما سمع أهل القرية اجتمعوا كلهم بمحبـــة وأمانة كاملة من صغيرهم إلى كبيرهم وأســـرعوا إلى الجبل وكانوا يبكون بكاءً مراً ـ وحملوه على الدواب ودخلوا به القرية كأب حنـــون .

المعجزات التى صاحبت نياحته

ولما كانوا داخلين به إلى القرية إذا بشاب به روح نجس صاح الشيطان فيه قائلا : ماذا لك ولى يا قصير تزعجنى وتطردنى من بيتى ، وبينما الشيطان يقول هذا والشاب يجرى بغير اختياره أسرع وعانق الجسد المقدس جسد أبينا القديس يحنس ، وللوقت وقع الشاب على الأرض وهو يصرخ ولما فتح فاه خرج منه الروح النجس مثل لهيب نار وعوفى فى تلك الساعة .

وقيل أيضاً عن جسد القديس أنبا يحنس أنه بينما كانوا يكفنونه إذا بأعرج مفلوج أحضره أبراء وطرحاه على كفن القديس ، فللوقت عوفى الرجل ووقف على رجليه وأسرع يجرى وهو يمجد الله ...

وكفنوا القديس وهم يسبحون ويرتلون وأكلوا عليه القداس والقربان وصنعوا له تابوتاً جعلوه ملاصقاً لـ القديسين آخرين ، وكان من جسده شفاء وخلاص لكل من يأتى إليه من كل موضع .

وهكذا انطلق القديس ولبس إكليل الغلبة من المسيح الإله وصار مع الرب حسب قوله حيث أكون أنا فهناك يكون خادمى معى .

واختتم كاتب السيرة يقول :

« هذا يا أحبائى القديسين على قدر ما وجدناه مكتوبا وما سمعناه من آبائنا المؤمنين الصادقين وما تركوه لنا غنى عظيماً وميراثاً وكنزاً لكى يسعى كل أحد فى خلاص نفسه إلى الحياة

الأبدية قدر استطاعته ، لأننا قادرون على العمل إن اهتممنا وأردنا والقوة تساعدنا ، كقول الكتاب لتقم نفوسنا فى كل عمل صالح شبه خدام الله بصبر عظيم ، وطول اروح ، وطاعة كاملة لوصايا الله ، فى إتضاع ولسك وآلام وأوجاع ، فى جراح وحبوس واضطرابات ، بتعب وسهر ، بصوم وعبادة ، بطهارة فى سيرة فاضلة بمخافة الله ، بجوع وعطش ، بمعرفة وحكمة وفهم مع صلوات ومزامير ، بمحبة ورحمة لجميع البشر ... » .

† † †